كتاب

البعث والنشور

للحارث بن أسد المحاسبي

توفي ببغداد سنة ٢٤٣ هـ

تحقيق

الدكتور أبو الزيد العجمي

أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الطبعة الثالثة

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

للطباعة والنشر والتوزيع

١٦ شارع منصور (مولد النبى) الزقازيق

ص . ب : ٢٠٣ ت : ٦٨٣٠٣٢(٠٥٥)

مقدمة

بين يدي البعث والنشور للحارث المحاسبى ٢٣٤ هـ

أشرنا فيما سبق من دراسة عن الحارث المحاسبى في كتابه [التوهم] (١) إلى اهتمامه بالتذكير بالآخرة طريقاً من طرق تقويم السلوك وحفز الناس إلى كريم الأخلاق ، وقد ظهر اهتمامه هذا في كتابين هما : التوهم والبعث والنشور.

أولا : وإذا كانت نسبة التوهم ثابته ليس حولها جدل علي الإطلاق فإننا وجدنا من يشكك في صحة نسبة البعث والنشور إلى المحاسبى ولكي يكون الأمر واضحاً نقرر أن بعض كتب الفهارس مثل بروكلمان في تاريخ الأدب

---

(١) صدر عن دار الأرقم – طبعة جديدة محققه .

العربى قد ذكرت هذا المخطوط (البعث والنشور) بين مؤلفات المحاسبى وذكرت أن الغزالى أفاد منه في (الدرة الفاخرة) [1] وذكر أنها مخطوطة بباريس ١٩١٣ - ١٥ .

كما ذكره بعض المحققين أمثال الدكتور إحسان عباس في تحقيقه لوفيات الأعيان لابن خلكان ، ومثل الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في تحقيقه لرسالة المسترشدين .

أما من أنكر نسبة هذه الرسالة إلى المحاسبى فهو الدكتور عبد الحليم محمود [2].

وحجته في ذلك أن الكتاب ليس بجودة التوهم أسلوبًا وترتيباً ، كما أن به بعض المبالغات مثل بكاء جبريل ،

---

(١) بروكلمان / تاريخ الأدب العربى /٤/٦٠ ترجمة د / السيد بكر ، ورمضان عبد التواب - دار المعارف القاهرة .

(٢) عبد الحليم محمود (د) أستاذ السائرين ٧١ ، ٧٢

وصراخ النار وواضح أن هذه الحجج لا تقوى لنفى نسبة الكتاب إلى المحاسبى لأنه قد يكون الكتاب مرحلة معينة من مراحل فكر المحاسبى ، وقد يكون اجمالا له ظروفه ثم جاء التفصيل في التوهم ، وأما مسألة الترتيب فمن الممكن أن يكون البعث والنشور مجموعة إملاءات ، أملى كل منها في وقت معين .

كذلك لا يغيب عن وعينا العلمى أن المبالغة في الأوصاف جزء من طريقة الوعاظ والمذكرين ، وقد أشرنا آنفا – إلى هذه الصفة عند المحاسبى .

لذا فنحن نميل إلى أن هذا الكتاب للمحاسبى وهو لا ينفصل عن خط اهتماماته .

ثانياً : توجد عدة صور للمخطوط جميعها مأخوذعن نسخة المكتبة الأهلية بباريس وهو عبارة عن خمس عشرة لوحة مقاسها ٢٠ × ٢٥ ، ومنها صورت نسخة دار الكتب المصرية ونسخة معهد المخطوطات العربية والنسخة خطها جيد لكن بها سواد وليس قليلاً مما يصعب قراءتها ، كما أن بها أخطاء نحويه وإملائية كثيرة احتاجت إلى تنبيه .

ثالثاً : موضوع البعث والنشر :

نشير بداية إلى أن الرسالة عبارة عن أحاديث وآثار ليس للمحاسبى كثير كلام فيها ، ولعل هذا هو الذى جعلها تبدو شيئاً آخر غير (التوهم) .

وقد تناولت بعث محمد ﷺ ثم بعث البشر أجمعين ووصفت عرضهم على ربهم سبحانه ، وتعرضت لطلبهم الشفاعة من كل الأنبياء ونثرت في هذا الصدد معنى أحاديث صحيحه في مجموعها ، ثم تناولت الصراط والمرور عليه وكيف يكون المرور وفق عمل المار خيراً كان أو شراً وهنا يذكر استغاثة العصاة برسول الله ﷺ وشفاعته لهم .

رابعاً : أما عملنا في هذه الرسالة فقد حدد في خدمة النص قراءة وإخراجاً نظراً لصعوبته . وكذلك إزالة الأخطاء الواردة فيه ، وبيان مفرداته قدر الطاقة ثم تخريج الأحاديث الواردة فيه . مع تعليقات يسيرة حتى لا يثقل النص من غير ما حاجة إلى ذلك .

ولأن أكثر ما تُدُوول في هذه الرسالة كان خاصاً بالحشر والصراط والشفاعة رأيت أن نذكر بحديثين للصراط أو عنها ، وحديث للشفاعة .

١ - عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « شعار المؤمنين على الصراط يوم القيامة : رب سلم سلم » (١).

٢ - عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة . فقال : أنا فاعل إن شاء الله ، قلت : فأين أطلبك ؟ قال : « اطلبنى على الصراط . قلت فإن لم ألقك على الصراط . قال فاطلبنى عند الميزان . قلت فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال فاطلبنى عند الحوض فإنى لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن » (١).

---

(١) أخرجه الترمذى في صفة القيامة حديث رقم ٢٤٣٤ وهو حديث حسن بشواهده .

(٢) أخرجه الترمذى رقم ٢٤٣٥ واسناده حسن

٣ – عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : حدثنا محمد ﷺ قال : إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض . فيأتون آدم فيقولون : اشفع لذريتك . فيقول : لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الله ، فيأتون إبراهيم فيقول : لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله فيؤتى موسى فيقول : لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته ، فيؤتى عيسى فيقول ، لست لها ولكن عليكم بمحمد ، فأوتى فأقول : أنا لها ، ثم أنطلقُ فاستأذن ، على ربى فيؤذَن لي فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها إلا أن يُلهمنيها ثم أخرُ لربنا ساجداً فيقول : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك وسل تعطه ، واشفع تُشفّع فأقول : يا رب أمتى أمتي . فيقول : انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها ، فانطلق فأفعل ، ثم ارجع إلى ربى فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً فيقال لى :

يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب : أمتى أمتى ، فيقال لى : انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها فأنطلق فأفعل ، ثم أعود إلى ربى أحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً ، فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك ، وسلك تعطه واشفع تشفع ، فأقول يا رب أمتى أمتى ، فيقال لى : انطلق ، فمن كان في قلبه أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل [1].

* * *

---

(١) للحديث روايات متعددة منها ما جاء عن قتادة عن أنس لكن المعنى واحد وهو صحيح . رواه البخارى في التوحيد ، باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغدهم ، وفي أبواب أخرى مثل تفسير سورة البقرة ، وصفة الجنة والنار .

* ورواه مسلم فـي الإيمان حديث رقم ١٩٣ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها – أنظر جامع الأصول لإبن الأسير ٤٨٠/١٠/ طبعة دار البيان

كتاب البعث والنشور

للشيخ الإمام العارف بالله تعالى أبي عبد الله الحارث المحاسبي رحمة الله عليه[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

حدثنا عثمان بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم عن العباس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولافخر وأنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا صاحب الشفاعة يوم القيامة ولا فخر ، ولواء الحمد معقود علي رأسى يوم القيامة وكل الأنبياء تحت لوائى ولا فخر وأمتى خير الأمم ولا فخر فأول من يحاسب قبل الأمم أمتى وكأنى أنظر إلي الأمم وأمتى قد قاموا من القبور ينفضون التراب عن رؤوسهم ووجوههم وهم يقولون

---

(١) في الأصل «ابن الحارث» وهو خطأ والصواب الحارث بن أسد

لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ويقولون ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾[1].

قال ابن عباس رضى الله عنهما :-

إنَّ أول من يقوم من قبره يوم القيامة محمدَ ﷺ ، فيأتيه جبرائيل عليه السلام ومعه البراق واسرافيل ومعه اللواء والتاج وعزرائيل[2] ومعه حلتان من حلل الجنه[3] ثم ينادى جبرائيل عليه السلام للدنيا : ياأيتها الدنيا أين قبر النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فتقول الأرض إن ربى قد جعلنى دكاً وقد ذهبت حيطانى ورسومى فما أدرى أين قبر النبى ﷺ قال : فعند ذلك يرتفع عامود من النور من قبر

---

(١) هذا الحديث ورد بجزء كبير من ألفاظه لدى الترمزى ومسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى واما من قوله فأول من يحاسب أمتى فهو فى معانى أحاديث صحيحة . أنظر / جامع الأصول / ٤٨٦/١٠ ، صحيح الجامع /٢٠/٢ تخريج الألبانى . «

(٢) كتبت فى الأصل عزرائيل .

(٣) جاء فى حديث ضعيف « أنا أول من تنشق الأرض عنه ، فأكسى حلة من حلل الجنة » ضعيف أنظر الجامع الصغير /٩/٢. ، تخريج المشكاة حديث ٥٧٦٦ - للألبانى

النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى عنان السماء فيقف الأملاك الأربع(١) على القبر ثم ينادى إسرافيل يأيتها الروح الطيبة ، ارجعى إلى الجسد الطيب فيصدع القبر ثم ينادي ثانية فيشق القبر بصفين ثم ينادي ثالثة ، فإذا النبى صلى الله عليه وآله وسلم واقف ينفض التراب عن لحيته المباركه وعن رأسه ، وينظر يميناً وشمالاً فلا يرى من العمارات شيئاً فتجرى دموعه على خديه فيقول له جبرائيل عليه السلام قم يامحمد هذا يوم القيامة هذا يوم الحسرة والندامة ، هذا يوم العرض علي الجبار فيقول : يا حبيبى يا جبرائيل بشرنى ، فيقول كنت عند الله بالمنزلة العليا، فيقول : يا حبيبى يا جبرائيل ليس عن هذا أسألك ، فيقول جبرائيل عليه السلام : يا سيدى أما ترى أملاك رب العالمين بين يديك ، فيقول ليس عن هذا أسألك فيقول أما ترى حلل الجنة قد بعثت إليك ، فيقول ليس عن هذا أسألك فيقول أما

---

(١) لعله يقصد بالأملاك الأربعة من ذكرمضافاً إليهم ميكائيل فقد ذكر فيما بعد ، أو لعله خطأ من الناسخ

ترى لواء الحمد معقود علي رأسك فيقول: ليس عن هذا أسألك ، انما أسألك عن أمتى ، أين خلفتهم فيقول وعزة ربى وجلاله ما انشقت الأرض عن بشر قبلك يا محمد ، فيقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « لأشدن اليوم مئزرى وأشفع لأمتى » ثم يقول جبرائيل عليه السلام : يا محمد اركب البراق وقم إلي ربك ، ثم إن جبرائيل عليه السلام تقدم البراق فيفر ويقف ، فيقول جبرائيل : أما تستحى يابراق ، تفر من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد أمرك ربك بالطاعة له ، فيقول البراق قد علمت ذلك[1] ولكن أشتهى قبل أن يركبنى أن يدخلنى الجنة بشفاعته فإن رب العزة قد غضب اليوم غضباً ما غضب مثله قط ، فيقول له النبى صلى الله عليه وآله وسلم : نعم إن احتجت إلي الشفاعة شفعت لك ثم يركبه [2] فيخطو بكل خطوة

---

(١) واضح من خلال وصف المحاسبى إن هذا ليس بحديث وهو كذلك فقد أخذ المحاسبى أول الحديث ثم سرح بخياله في الفهم والتصوير ، كما فعل في كتابه « التوهم » في وصف الجنة .

(٢) فى الأصل : يركبها فتخطوا .

مد البصر ، فإذا هو ببيت المقدس علي أرض من الفضة البيضاء ، ثم ينادى إسرافيل عليه السلام أيتها الاجساد البالية والعظام النخرة والشعور المنتشرة والعروق المتقطعة ، قوموا من حواصل الطيور، وبطون السباع ولجج البحار ومن بطون الأرض إلي العرض على رب العالمين ثم توضع أرواح الخلائق كلها فى الصور فيجلس كل روح فى طاقة ، وفى الصور طاقات بعددأرواح الخلائق وينفخ إسرافيل فى الصور وتمطر السماء على الأرض ماء من بحر الحيوان ثخيناً مثل منىّ الرجال فتنبت العظام وتمتلئ العروق وينبت اللحم والجلد ويبقى بعضهم علي بعض ، جثث بلا أرواح ويقول الله تعالى يا إسرافيل ، انفخ فى الصور فأحى بإذنى أهل القبور من أهل الفرح والسرور فينفخ إسرافيل في الصور ويقول : أيتها الأرواح الفانية ، ارجعوا إلي أجسادكم ، وقوموا إلي العرض علي رب العالمين فيقول الله تعالى وعزتى وجلالى لترجعن كل روح إلي جسدها ، فإذا سمعت الأرواح قسم الحق سبحانه وتعالى رجعت كل روح إلى

جسدها ثم تنشق الأرض عنهم فإذا هم قيام ينظرون[1] فيجلس النبى صلى الله عليه وآله وسلم على صخرة بيت المقدس ينظر إلي الخلائق وهم يقومون كالجراد المنتشر فتقوم سبعون أمة وأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمة واحدة والنبى ﷺ ينظر إليهم وهم يموجون كموج البحار وجبرائيل عليه السلام ينادى معشر الخلائق هلموا إلى العرض على الملك الجبار فتقبل الأمم زمرة بعد زمرة وكلما أقبلت زمرة يقول النبى صلى الله عليه آله وسلم اين أمتى فيقول جبرائيل إن أمتك آخر الأمم فاذا أقبل عيسى عليه السلام نادى جبرائيل ميكائيل فيبكى عيسى وجبرائيل فيقول النبى صلى الله عليه وآله و سلم « مالكما تبكيان » فيقول جبرائيل عليه السلام : عن شأن أمتك يا محمد فيقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) وقد حكى القرآن هذا الحال كما فى قوله تعالى : « ونفخ فى الصور فصعق من في السموات ومن فى الأرض إلا من شَاءَ اللّه ثمَّ نُفخَ فيه أخرى فإذَا هُمْ قيامٌ ينظرونَ » الزمر ٦٨ .

أين أمتى فيقول جبرائيل عليه السلام : قد أقبلوا وهم هؤلاء الغر المحجلين فعند ذلك يبكى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويقول : ياجبرائيل كيف حال المؤمنين من أمتى ، فيقول جبرائيل: انظر اليهم يامحمد ، فينظر النبى صلى الله عليه وآله وسلم إليهم وهم يبكون فيسلم الصالحون فيهم [1] على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيهنونه [2] بما أعطاه الله تعالى من الكرامات ويفرحون بلقائه ويفرح بهم ويلقاه [3] العصاة من أمته وهم يبكون وأوزارهم على ظهورهم وهم ينادون يامحمداه ودموعهم تجرى على خدودهم وقد تعلق المظلومون بالظالمين ، فيقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ياأمتى ، فتجتمع إليه أمته و هم يبكون فبينما هم كذلك ، اذ نادى مناد من قبل الله تعالى : أين جبرائيل فيقف بين يدى الله سبحانه

---

(١) الأصل : فيسلموا من الصالحين منهم .

(٢) الأصل : فيهنون .

(٣) في الأصل : ويلقونه العصاة .

وتعالى فيقول له وهو أعلم بذلك : ياجبرائيل ، اين أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيقول جبرائيل عليه السلام هم يارب آخر الأمم فيقول الله تعالى ياجبرائيل قل لحبيبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقدم أمته للعرض على ، فيرجع جبرائيل عليه السلام باكيا ويقول : يا محمد قدم أمتك للعرض على الملك الجبار، فيلتفت النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى أمته فيقول لهم قد دعيتم للعرض على الله سبحانه وتعالى فيبكى المذنبون فزعا من خطاياهم ، فيسوقهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما يسوق الراعى غنمه ، بين يدى الله تعالى ، ثم يقول الله تعالى يا عبادى أنصتوا إلى فطالما أنصت لكم ، وأنتم على المعاصى ، فيسكت العباد ، فيقول الله تعالى ﴿ **الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نفس بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ** ﴾[1] اليوم أكرم من أطاعنى وأعذب من عصانى ، ياجبرائيل انطلق الى مالك خازن النار، وقل له يحضر جهنم، فيمضى

---

(١) ١٧ من سورة غافر ، وبقيتها [إن الله سريع الحساب]

جبرائيل إلى مالك فيقول له يامالك أمرك ربك أن تحضر جهنم ، فيقول مالك . يا جبرائيل أى يوم هذا ؟ فيقول : يامالك هذا يوم القيامة ، هذا يوم تجزى كل نفس بما كسبت ، فيقول مالك : يا جبرائيل، وقد حضر الله الخلائق كلهم ، فيقول : نعم ، فيقول مالك : أين محمد وأمته ، فيقول : قد وقفوا بين يدى الجبار جل جلاله فيقول : كيف تستطيع[1] أمة صلى الله عليه وآله وسلم أن يصبروا على جهنم وزفيرها إذا عبرت عليهم وهم الضعفاء ، فيقول جبرائيل عليه السلام : ما أعلم ، ثم يصيح مالك صيحة هائلة فتقوم النار على قوائمها ولها قوائم شداد غلاظ ثم تفور فورة[2] فلا يبقى فى عين أحد من[3] الخلائق قطرة من الدموع فتبكى الناس الدماء

---

(١) فى الأصل . .يستطيعون امة محمد

(٢) في الأصل كتبت : تفرفرة وهي عبارة ليس لها معنى وأرى أن ماأثبته هو الملائم لسياق النص

(٣) كتبت (أحد من) فى الهامش الجانبى للمخطوط .

وتشيب الولدان وتضع الحوامل أحمالها ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[1] ، فأول من يسقى ابراهيم الخليل عليه السلام وينطلق ، بسرادق العرش ، وينادى : إلهى وسيدى ، أنا خليلك ابراهيم، ارحم اليوم شيبى ، لا أسالك اسحاق ولدى ولا إسماعيل فيقول الله سبحانه وتعالى : يا إبراهيم ، هل رأيت خليلا يعذب خليله ثم ينادى موسى عليه السلام ويتعلق بساق العرش ويقول : أنا كليمك موسى لا أسالك إلا نفسى ، لا أسألك هارون أخى ، نجنى من أهوال جهنم ، ثم يقبل عيسى عليه السلام باكيا ويتعلق بسرادق العرش وينادى إلهى وخالقى أنا عيسى روحك وكلمتك لا أسالك إلا نفسى نجنى من أهوال جهنم ثم ترتفع الأصوات بالصياح والبكاء ، فينادى محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلهى وسيدى ، لاأسالك اليوم نفسى ، إنما أسالك أمتى فتنادى جهنم من ذا الذى يشفع لأمته ، وكل نفسٍ لا تشفعُ إلا

---

(١) يشير هنا إلى قوله تعالى : الآية [٢] من سورة الحج .